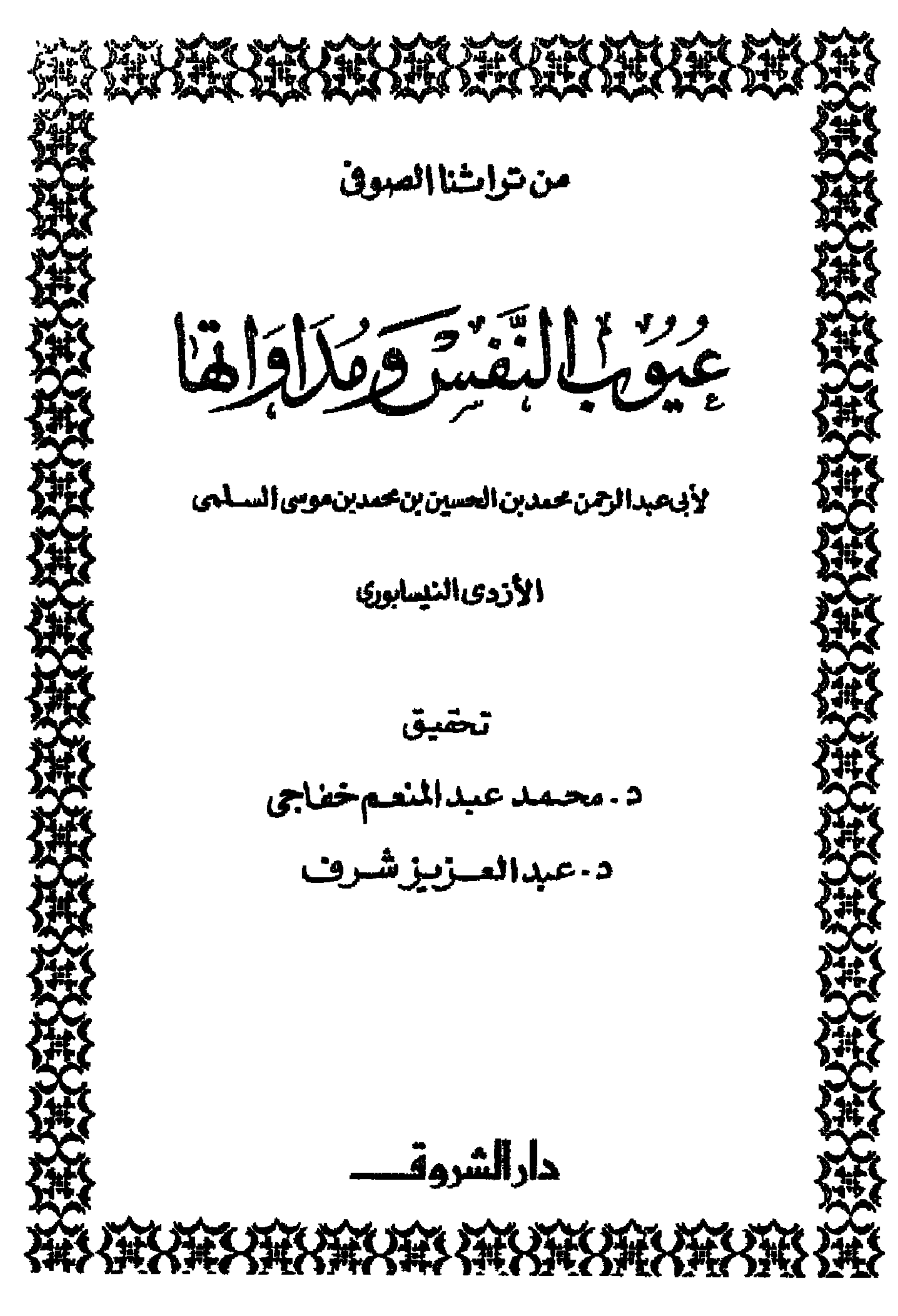


من تراثنا الصوفي

عيوب النفس ومداواتها

لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى السلمي

الأزدي النيسابوري

تحقيق

د. محمد عبد المنعم خفاجي

د. عبد العزيز شرف

دار الشروق

عيوب النفس ومداواتها

دار الشروق

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني ـ هاتف: ٧٥٤٢١٤ ـ ٧٥٤٣١٤ ـ برقياً: شروق القاهرة ـ تلكس: SHROK UN 93091
بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف: ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ برقياً: دار الشروق ـ تلكس: SHOROK 20175 LE

من تراثنا الصوفي

عيوب النفس ومداواتها

لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى السلمي

الأزدي النيسابوري

المتوفى عام ٤١٢ هجرية

تحقيق

د. محمد عبد المنعم خفاجي

د. عبد العزيز شرف

دار الشروق

تقديم

هذا الكتاب ، الذى ألفه صوفى كبير ، هو أبو عبد الرحمن السلمى ، المتوفى عام ٤١٢ هـ ، يبحث عن عيوب النفس وطريقة معالجتها ، وهو جانب كبير من جوانب التصوف الإسلامى ، الذى يعنى بشئون النفس وأمراضها وطرق علاجها .

وكما يبحث الأطباء فى أمراض الجسد وعلاجها ، يبحث الصوفيون فى أمراض الروح ومداواتها وطرق علاجها .

وكم للروح أو للنفس على الأصح ، من أمراض ، أمراض نفسية بعضها يتصل بالغفلة عن الله ، وبعضها يتصل بالإغراق فى حب النفس ، وبعضها يتصل ، بالمبالغة فى حب الدنيا ، وبعضها يتصل بالاستماع إلى وسوسة الشيطان والانصراف عن الآخرة . أمراض كثيرة .. بحث السلمى فى كتابه هذا الذى نقدمه اليوم ، كل ما يتصل بهذه الأمراض وأسبابها وطريق مداواتها ،

لتكون النفس أصح وأنقى وأسلم وأحمد عاقبة ، وليصحّ للإنسان دينه وروحانيته ، وضميره الصوفى .

لكم بحث الصوفية عن أسرار النفس وآدابها وعيوبها ، ولكم أفاضوا فى طريق علاج هذه العيوب .. وذلك كله جانب كبير من جوانب علم النفس الحديث . وإذا كان علماء النفس قد بحثوا عقد النفس ، وسموها مركب النقص ، فإن الصوفيين يسبقونهم فى هذا المضمار طويلاً ، وإن كان الجانب الأكبر من اهتمامهم هو البحث عن فضائل النفس وكمالاتها ، ولعلنا نسميها «مركب الكمال النفسى» بدلاً مما يخوض فيه النفسيون طويلاً من «مركب النقص النفسى» .

والسلمى أطول تجربة ، وأكبر عمقًا ، وأكثر إحاطة بموضوعه ؛ وهو يكتب بعقل الصوفى وذوقه وخبرته وتجاربه ومواجيده الصوفية المشرقة .

وقد أفاض السلمى طويلاً فى بحث عيوب النفس ، وشخص هذه العيوب تشخيصًا كاملاً ورسم طريق علاجها رسمًا واضحًا .

وبذلك فتح السلمى الباب لكل باحث فى هذا المضمار .

والكتاب مع إيجازه الشديد مليء بالمعارف الصوفية العالية ، وبالحكم الروحية الرفيعة ، مع إشراقة النور الروحى ، وطهارة القلب الذكى ، وجمال الأسلوب ورصانته وبلاغته وسحره وإيجازه .

وكتاب «عيوب النفس ومداواتها» أقرب إلى علم النفس وبحوثه من أى شيء آخر . والتصوف الإسلامى هو فى جوهره دراسات عميقة للنفس الإنسانية وجوانبها المختلفة ، وخطراتها ووساوسها ونزعاتها ووجداناتها المتعددة .

وهذا الكتاب من أجل ذلك يعد من الكتب ذات الأهمية الكبيرة ، وهو مفيد فى استكناه كل أمراض النفس الباطنية الروحية وعلاجها .

حتى تصبح نفس الإنسان أكثر شفافية وأعمق طهارة نفسية ، وأكثر صلة بالله ، وأقوى على تحمل شدائد الحياة ، وأصلب عودًا فى مجابهة الأحداث .

وكم للتصوف والصوفية من أياد بيض على البحث العلمى ، وفى رحاب التصوف نشأت علوم ومعارف كثيرة ، وحكم وآداب

غزيرة ؛ ومؤلفات عديدة كبيرة ، والصوفيون ـ بإلهامهم الصادق ، وروحانيتهم الشفافة ـ أضاءوا الدنيا ، وشغلوا الناس وهذبوا الضمير الإنسانى فى نفس المسلم ، ودعوا إلى الكمال الدائم المطلق دون إحجام أو خوف .

إنهم بمعارفهم الكثيرة ، وتجاربهم الطويلة وتطلعهم إلى الكمال الإنسانى ، واحترازهم عن الأمراض النفسية ، التى تصيب المسلم فى نفسه وروحه وقلبه ؛ ليُعَدُّون بفكرهم وفلسفتهم من أروع من أضافوا إلى الثقافة الإنسانية ، وإلى الحضارة الإسلامية . كل جديد ، وكل عظيم من المعرفة والعلم .

* * *

مخطوطات الكتاب

ومن كتاب «عيوب النفس ومداواتها» النسخ الخطية الآتية :

١ ـ مخطوطة غير مؤرخة ، ضمن مجموعة : وهى من ورقة ٢٨ ظ إلى ورقة ٣٦ ظ ، والمجموعة فى خزانة كتب برلين ، برقم ٣١٣١ .

٢ ـ مخطوطة أخرى فى الخزانة التيمورية ، بدار الكتب المصرية ، بالقاهرة ضمن مجموعة ، من ورقة ١ ظ إلى ورقة ١٦ ظ ، برقم ٧٤ تصوف ـ تيمور .

٣ ـ مخطوطة فى المتحف البريطانى برقم ٢٢٨ .

وقد اعتمدنا مخطوطة المكتبة التيمورية أصلاً للكتاب .

ترجمة المؤلف

أبو عبد الرحمن السلمى (٣٤٠ ـ ٤١٢ هـ) من الشخصيات العلمية المشهورة فى القرن الرابع الهجرى ، وممن عمل فى مجال التصوف والحديث وعلوم الدين عامة .

ففى التصوف : ألف كتاب « طبقات الصوفية » ، وكتاب « الأخوة والأخوات من الصوفية » ، وكتاب « آداب الصوفية » ، وكتاب « تاريخ الصوفية » ، وكتاب « جوامع آداب الصوفية » ، رسالة « فى غلطات الصوفية » ، وكتاب « سلوك العارفين » ، كتاب « سنن الصوفية » ، وكتاب « عيوب النفس ومداواتها » ، وكتاب « محن الصوفية » وكتاب « مقامات الأولياء » ، و « مقدمة فى التصوف » ، وكتاب « الفرق بين الشريعة والحقيقة » ، وكتاب « مناهج العارفين » .

وله كتاب : « الأربعين فى الحديث » ، وكتاب « حقائق التفسير » ، وكتاب « تاريخ أهل الصفة » ، وكتاب « أمثال

القرآن» ، وله جزء حديث ، وكتاب «الزهد» .

وله كتب أخرى غير مطبوعة ، مثل :

- آداب التعازى
- آداب الصحبة وحق العشرة
- كتاب الاستشهادات
- رسالة الملامتيه
- زلل الفقر
- كتاب السماع
- كتاب الفتوة

وكتبه كلها مفيدة ، جامعة لآراء الصوفية وفيها يقول أبو نعيم فى كتابه «حلية الأولياء» : «له العناية التامة بتوطئه مذهب المتصوفة ، وتهذيبه ، على ما بيّنه الأوائل من السلف[1] .

وقد ولد السلمى فى العاشر من جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وثلثمائة للهجرة ومات والده سنة نيف وأربعين وثلاثمائة وصاحبنا لا يزال فى الشباب ، وكان مولده بنيسابور .

وقد نشأ السلمى فى كفالة جده لأمه ، إسماعيل بن نجيد السلمى ، فلقب أبو عبد الرحمن بلقب جده ، وصار يقال له

---

(١) ٢/٢٥ حلية الأولياء

السلمى ، وعاش أبو عبد الرحمن فى جو دينى خالص ، وبين أسرة متدينة .

وتتلمذ على الدار قطنى ، وأبى نصر السراج صاحب كتاب « اللمع » وعلى جده لأمه أبى عمرو بن نجيد ، وأبى القاسم النصرابادى ، وسواهم . وعرف بالتصوف ومال إليه .

ولما اكتمل عقله العلمى تتلمذ عليه أجيال من الشباب منهم القشيرى عبد الكريم بن هوازن صاحب الرسالة القشيرية المتوفى عام ٤٦٥ هـ وسواه .

وألف السلمى كتبًا كثيرة ذاعت فى كل مكان وتوفى رحمه الله بعد حياة حافلة يوم الأربعاء الثالث من شعبان عام ٤١٢ هـ .

وكان الجانب الصوفى فى حياة السلمى هو أظهر جوانب حياته .

فلقد عاش حياته صوفيًّا ورعا زاهدًا ، مقبلاً على العلم والتعليم ، ينفح تلاميذه بالنصائح المفيدة ، والتوجيهات السديدة ، ويرشدهم بالقدوة الصالحة ، والأسوة الحسنة .

وكان حب الناس له ، وإقبالهم عليه شديدًا لما يعرفون من زهده وورعه .

رحمه الله ، وأجزل مثوبته .

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير الكتاب

الحمدُ لله أولاً وآخرًا ، وصلّى اللهُ على محمدٍ باطنًا وظاهرًا ، وعلى آله وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا دائمًا .

الحمد لله الذى عرَّفَ أهلَ صفوته عيوب أنفسهم ، وأكرمَهُمْ بمطالعة غدرها ، وجعلهم أهل اليقظة والانتباه لموارد الأحوال عليها ، ووفَّقَهُم لمداواة عيوبها ، ومكامن شرورها ، بأدويةٍ تخفى إلا على أهل الانتباه لمعرفتهم بدائها ، واشتغالهم بطلب دوائها فسهَّل عليهم من ذلك العسير ؛ بفضله ، وحسن توفيقه .

أما بعد : فقد سألنى بعض المشايخ ـ أكرمهم الله بطاعته ـ أنْ أجمعَ له فصولاً من عيوب النفس ، يُستدلُّ بها على ما وراءها ، فأسعفته بطَلِبَتِهِ ، وجمعت له هذه الفصول ، التى أسأل الله تعالى أن لا يَعْدِمَنَا بركاتِها ، وذلك بعد أن استخرت الله تعالى فيه[1] ، واستوفقته له ، وهو حسبى ونعم المعين ، وصلى الله على محمد وآله وسلم كثيرًا .. فقلت :

---

(١) أى فى هذا الإسعاف ، وذلك الجمع .

اعلم أن النفس على ثلاثة أقسام : نفس أمَّارةٌ ، ونفس لوَّامة ، ونفس مطمئنة .

فأما المطمئنة فهى التى أيقنت أن الله ربها ، واطمأنت إلى ما وعد الله ، وصدقت بما قال الله ، وصبرت لأمره ، وهى النفس المؤمنة ، التى يبيض اللهُ تعالى وجهها ، ويعطيها كتابها بيمينها ، فتظهر وهى الراضية بقضاء الله وقدره ، وخيره وشره ، ونفعه وضره ، وهى التى يقول الله تعالى لها :

(ارجعى إلى ربك راضية) أى عن الله (مرضية)[٢] أى مرضيًّا عنها بعملها الصالح ، وتصديقها بوعد الله تعالى .

وأما القسم الثانى فهى النفس اللوامة ، التى تلوم على الخير والشر ، ولا تصبر على السراء والضراء ، وهى التى تندم على مافات ، وتلوم عليه ، وتقول : لو فعلت أو لم أفعل ، وهى النفس الفاجرة المذمومة . فليس نفسٌ برَّةٌ ولا فاجرةٌ إلا تلوم ، إن كانت عملت خيرًا قالت : هلا زدت عليه ، وإن عملت شرا قالت : ليتنى لم أفعل ؛ فهى تلوم نفسها فى الآخرة على ما فرَّطتْ فى الدنيا ، وهى التى أقسمَ اللهُ تعالى بها بقوله : (ولا أقسم بالنفس اللوامة[٣]) .

---

(٢) ٢٨ سورة الفجر .
(٣) ٢ سورة القيامة .

وأما النفسُ الأمَّارة فَهى التى قال اللهُ تعالى حكايةً عن يوسف ، عليه السلام ، حيث قال : (إن النفسَ لأمَّارةٌ بالسوء[4]) : وقال الله عزَّ وجلَّ : (ونهى النفس عن الهوى[5]) ؛ وقال سبحانه وتعالى : (أفرأيت من اتخذ إلٓهه هواه[6]) ، وغيرها من الآيات ، مما يدل على شرور النفس ، وقلة رغبتها فى الخير.

أخبرنا على بن أبى عمرو ، قال حدثنا عبدِ الجبار بن سيرين ، قال حدثنا أحمد بن الحسين بن أبان[7] ، قال حدثنا أبو عاصم[8] ، قال حدثنا شعبة[9] وسفيان ، عن سلَمةَ بن

---

(٤) ٥٣ سورة يوسف .

(٥) ٤٠ سورة النازعات .

(٦) ٢٣ سورة الجاثية .

(٧) فى لسان الميزان ١٥٠/١ أنه أحمد بن الحسن بن أبان المصرى الآملى .

(٨) هو الضحاك بن مخلد الشيبانى ، أبو عاصم البصرى المتوفى عام ٢١٢ هـ ، كما فى ابن عساكر ٢٤/٧ ، والتهذيب ٤٥٠/٤ ، وشذرات الذهب ٢٨/٢ .

(٩) هو شعبة بن الحجاج الأزدى ، أبو بسطام الواسطى ثم البصرى ، المتوفى عام ١٦٠ هـ ، كما فى التهذيب ٣٣٨/٤ .

كُهَيْلٍ[١٠] ، عن أبى سلمة[١١] عن أبى هريرة[١٢] رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (البلاء ، والهوى ، والشهوة ، معجونة بطينة بنى آدم[١٣]) . ، عليه السلام ، قال الله تعالى : (وجاهدوا فى الله حق جهاده[١٤]) ، يعنى مجاهدة النفس ، ومنعها عن اتباع الهوى .

(١٠) أبو يحيى مسلمة بن كهيل الكوفى المتوفى عام ١٢١ هـ كما فى التهذيب ١٥٥/٤ .

(١١) هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى المدنى المتوفى عام ٩٤ هـ (تهذيب ١١٥/١٢ .

(١٢) هو أبو هريرة الدوسى اليمانى المتوفى عام ٥٧ هـ (تهذيب ٢٦٢/١٢ .

(١٣) ١٥٠/١ لسان الميزان .

(١٤) ٧٨ سورة الحج .

[عيــوب النـفس]

١ ـ فمن عيوب النفس : أنها تتوهم أنها قائمة على باب نجاته ، تقرع الباب بفنون الأذكار والطاعات ، والباب مفتوح ؛ ولكنه أغلق باب الرجوع على نفسه بكثرة المخالفات . كما أخبرني الحسين بن يحيى[(١٥)] ، قال : سمعت جعفر بن محمد ، يقول : سمعت مسروقًا يقول : مرت رابعة العدوية[(١٦)] بمجلس صالح المرّيّ[(١٧)] وهو يقول : «من أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له» ، فقالت رابعة : البابُ يابطالُ مفتوحٌ ، ولكنك تَفِرّ منه ، كيف تصل إلى

(١٥) هو الحسين بن يحيى الشافعي .

(١٦) من الزاهدات العابدات المشهورات ، عاشت في البصرة ، وتوفيت عام ١٨٥ هـ راجع كتاب التصوف الإسلامي وظلاله في الأدب العربي الجزء الأول للحماجي ، الكواكب الدرية ١/١٨٠ .

(١٧) أبو بشر صالح بن بشر المرى البصري المتوفى عام ١٧٢ هـ حلية الأولياء ١٦٥/٦ ، صفوة الصفوة ٢٦٥/٣ شذرات الذهب ٢٨١/١ .

مقصد أخطأتَ طريقه في أول قدم ؟ وكيف ينجو العبد من عيوب النفس وهو الذى أطلق لها الشهوات ، أم كيف ينجو من اتباع الهوى من هو لا ينزجر عن المخالفة ؟ سمعت محمد بن أحمد بن حمدان يقول : سمعت محمد بن إسحاق الثقفى يقول : سمعتُ ابن أبي الدنيا[18] يقول : قال بعض الحكماء : لا تطمع أن تصحو وفيك عيب ، ولا تطمع أن تنجو وعليك ذنب . ومداواة هذه الحالة ما قاله سرى السقطى ، وهو سلوك سبيل الهدى وطيب الغذاء وكمال التقى .

* * *

٢ ـ ومن عيوبها : أنها إذا بكت تفرجت واستروحت ، ومداواتها ملازمة الكمد مع البكاء حتى لا يتفرغ إلى استرواح ، وهو أن يبكى فى الحزن ولا يبكى من الحزن ، فإن من بكى من الحزن يستروح من بكائه ، ومن بكى فى الحزن يزيده البكاء كمدًا وحزنًا !

* * *

٣ ـ ومن عيوبها : استكشافها الضر ممن لا يملكه ، ورجاؤها النفع ممن لا يقدر عليه ، واهتمامها برزقها . وقد تكفل لها به ،

(١٨) أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشى بن أبي الدنيا المتوفى عام ٢٨١ هـ (٢٦٢ الفهرست لابن النديم) .

ومداواتها الرجوع إلى صحة الإيمان بما أخبر الله تعالى فى كتابه من قوله عز وجل : (وإن يمسَسْكَ الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضله[19]) ؛ وقوله تعالى : «وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها[20]» .
وقيل للأحنف بن قيس[21] : بِمَ سدتَ قومك ، ولست أكبرهم سنًّا ؟ فقال : لم أقصر فيما كلفت ولم أتكلف ما كفيت ؛ وقوله تعالى : (فاعبده وتوكل عليه[22]) . وتصح له هذه الحال إذا نظر إلى ضعف الخلق وعجزهم ، فيعلم أن من يكون محتاجًا لا يقدر على قضاء حاجة غيره ، ومن يكون عاجزًا لا يمكنه أن يصلح أسباب غيره ، فيسلم من هذه الخطيئة ويرجع بالكلية إلى ربه .

* * *

٤ ــ ومن عيوبها : فترتها فى حقوق كانت تقوم بها قبل ذلك ، وأكبر منها عيبًا من لا يهتم بتقصيره وفترته وأكثر من ذلك عيبًا من

---

(١٩) ١٠٧ يونس .

(٢٠) ٦ سورة هود .

(٢١) الأحنف التميمى من سادة العرب فى القرن الأول ، تميمى بصرى ، توفى عام ٦٧ هـ (ابن عساكر ١٠/٧) .

(٢٢) ١٢٣ سورة هود .

لا يرى فترته وتقصيره ، ثم أكبر منه عيبًا من يظن أنه متوفر مع فترته وتقصيره ، وهذا من قلة شكره فى وقت توفيقه للقيام بهذه الحقوق ، فلما قل شكره أزيل عن مقام التوفير إلى مقام التقصير ، وستر عليه نقصانه فاستحسن قبائحه . قال تعالى : (أفمن زُيِّنَ له سوءُ عمله فرآه حسنًا[٢٣]) وقوله تعالى : (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا[٢٤]) ، وقوله تعالى : (كذلك زينا لكل أمة عملهم[٢٥]) ، وقوله تعالى : (كل حزب بما لديهم فرحون[٢٦]) ، وقوله سبحانه : (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون[٢٧]) . والخلاصُ من ذلك دوامُ الالتجاء إلى الله تعالى ، وملازمة ذكره ، وقراءة كتابه ، والبحث عن معناه ، وتعظيم حرمة المسلمين ، وسؤال أولياء الله الدعاء له بالرد إلى حاله الأولى ، لعل الله عز وجل يمنُّ عليه بأن يفتح عليه سبيل خدمته وطاعته .

---

(٢٣) ٨ سورة فاطر .

(٢٤) ١٠٤ سورة الكهف .

(٢٥) ١٠٨ سورة الأنعام .

(٢٦) ٥٣ سورة المؤمنون .

(٢٧) ١٨٢ سورة الأعراف .

٥ ـ ومن عيوبها : أن يطيع ، ولا يجد لطاعته لذة ، وذلك لشَوْب طاعته بالرياء ، وقلة إخلاصه فى ذلك أو ترك سنة من السنن . ومداواتها مطالبة النفس بالإخلاص ، وملازمة السنة فى الأفعال وتصحيح مبادىء أموره ليصح له منتهاها .

* * *

٦ ـ ومن عيوبها : أنه يرجو لنفسه الخير فى حضور مشاهد الخير ، ولو تحقق لأَيِسَ أهلُ المشهد من الخير بشؤم حضوره . كما قيل لبعض السلف : كيف رأيت أهل الموقف ؟ قال : رأيت قومًا لولا أنى كنت فيهم لرجوت أن يغفر الله لهم ، هكذا يكون ظن أهل اليقظة بأنفسهم . ومداواتها أن يعلم أن الله وإن غفر له ذنوبه فقد رآه مرتكبًا للخطايا والمخالفات ، فيستحيي من ذلك ، ويسىء بنفسه الظن . كما قال الفضيل بن عياض : واسوأتاه منك وإن غفرت وذلك لتحققه بعلم الله به ونظره إليه .

* * *

٧ ـ ومن عيوبها : أنك لا تحييها حتى تميتها وتتلفها ، أى لا تحييها للآخرة حتى تميتها عن الدنيا ، ولا تحيا بالله حتى تموت عن الأغيار . وقال يحيى بن معاذ الرازى : «من تقرب إلى الله بتلف

نفسه حفظ الله عليه نفسه» ؛ وذلك أن يمنعها عن شهواتها ، ويحملها على مكارهها ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» . ومداواتها السهر والجوع والظمأ. وركوب مخالفات الطبع والنفس ، ومنعها عن الشهوات ، سمعت محمد بن إبراهيم بن الفضل يقول : سمعت محمد ابن الرومي[28] يقول قال يحيى بن معاذ الرازى : الجوع طعام به يقوى الله أبدان الصديقين .

* * *

٨ـ **ومن عيوبها** : أنها لا تألف الحق أبدًا ، والطاعة خلاف سجيتها وطبعها ؛ ويتولد أكثر ذلك من متابعة الهوى واتباع الشهوات ، وما لم يذبحها بسكاكين المجاهدات لا يحيا ، قال الله تعالى لجماعة من بنى إسرائيل : (فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم[29]) ، ومداواتها الخروج منها إلى ربها بالكلية ، ولهذا أمر الخليل بذبح ابنه ، (فلما أسلما وتَلَّهُ للجبين[30]) . قيل له : (قد

---

(٢٨) من الصوفيين فى القرن الثانى الهجرى .

(٢٩) ٥٤ سورة البقرة .

(٣٠) ١٠٣ سورة الصافات .

صدقت الرؤيا[٣١]) ، ثم فداه بذِبْحٍ عظيم . وقال الجنيد[٣٢] : حرم الله الجنة على صاحب العلاقة ، وغاية الدواء الخروج منها بالكلية إلى ربها . سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول سمعت أبا القاسم المصرى ببغداد يقول : سئل ابن يزدئيار عن العبد إذا خرج إلى الله على أى أصل يخرج قال : على أن لا يعود إلى ما منه خرج ويحفظ نفسه عن ملاحظة ما تبرأ منه ، فقيل له : هذا حكم من خرج عن وجود ، فكيف حكم من خرج عن عدم؟ فقال : وجود الحلاوة فى المستأنف عوض عن المرارة فى السالف .

* * *

٩ ـ ومن عيوبها : أنها تألف الخواطر الردية فتستحكم عليها المخالفات . ومداواتها رد تلك الخواطر فى الابتداء لئلا تستحكم ، وذلك بالذكر الدائم وملازمة الخوف ، والعلم بأن الله يعلم ما فى سرك كما يعرف الخلق ما فى علانيتك ، فتستحيى من أن تصلح

(٣١) ١٠٥ سورة الصافات .

(٣٢) كان يسمى شيخ الطائفة ، وهو كما وصفه القشيرى فى الرسالة : سيد هذه الطائفة وإمامهم وأصله من نهاوند ، ومولده ونشأته بالعراق ، وصحب خاله السرى السقطى (٢٥٧ هـ) ، والحارث بن أسد المحاسبى (٢٤٣ هـ) ، وتوفى عام ٢٩٧ هـ .

للخلق موضع نظرهم ولا تصلح موضع نظر الحق . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : «إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم» . وسمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا الحسن العلوى صاحب إبراهيم الخواص يقول : سمعت إبراهيم الخواص رحمه الله يقول : أول الذنب الخطرة فإن تداركها صاحبها بالكراهية وإلا صارت معارضة ، فإن تداركها صاحبها بالرد وإلا صارت وسوسة ، فإن تداركها صاحبها بالمجاهدة وإلا هاج منها الشهوة مع طلب الهوى فغطى العقل والعلم والبيان ، وهكذا روى فى الأخبار أن الهوى والشهوة يغلبان العلم والعقل والبيان .

* * *

١٠ ـ **ومن عيوبها** : اشتغالها بعيوب الناس وعماها عن عيوبها . ومداواتها رؤية عيب نفسه ، وعلمه به ، ومعرفته بمكرها . ويداويها بالأسفار والتقطع وصحبة الصالحين والائتمار لأوامراهم ، وأقل ما فيه إذا لم يعمل فى مداواة عيوب نفسه أن يسكت عن عيوب الناس ويعذرهم فيها ويستر عليهم عيوبهم ، رجاء أن يصلح الله بذلك عيوبه ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من ستر

عورة أخيه المسلم ستر الله عورته » ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ثم يفضحه ولو فى جوف بيته » . سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول : سمعت ابن يزدان المدائنى ، قال : رأيت أقوامًا من الناس كانت لهم عيوب فسكتوا عن عيوب الناس فستر الله عيوبهم وزالت عنهم تلك العيوب ، ورأيت أقوامًا لم يكن لهم عيوب فاشتغلوا بعيوب الناس فصارت لهم عيوب .

* * *

١١ ـ ومن عيوبها : الغفلة والتوانى والإصرار والتسويف وتطويل الأمل وتبعيد الأجل . ومداواتها ما سمعت الحسين بن يحيى يقول : سمعت جعفرًا الخلدى يقول : سئل الجنيد : كيف السبيل إلى الانقطاع إلى الله تعالى : فقال : بتوبة تحلُّ الإصرار وخوفٍ يزيل التسويف ، ورجاءٍ قصَّرَ الأمل على مسالك العمل ، وذكرٍ لله تعالى على اختلاف الأوقات ، وإهانة للنفس بقربها من الأجلِ ، وببعدها من الأمل . قيل له : فبماذا يصل العبد إلى هذا ؟ قال : بقلب مفرد فيه توحيد مجرد .

* * *

١٢ ـ ومن عيوبها : رؤيتها والشفقة عليها . ومداواتها : رؤية فضل الله تعالى عليه فى جميع الأوقات والأحوال ، ليسقط ذلك

عنه رؤية النفس ، سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الواسطى[٣٣] رحمه الله يقول : أقرب شىء إلى مقت الله تعالى رؤية النفس وأفعالها .

* * *

١٣ ـ ومن عيوبها : اشتغالها بتزيين الظواهر ، والتخشع من غير خشوع ، والتعبد من غير حضور . ومداواتها : الاشتغال بحفظ الأسرار لتزين أنوارُ باطنه أفعالَ ظاهره ، فيكون مزينًا من غير زينة ، مهيبًا من غير تبع ، عزيزًا من غير عشيرة . لذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم : «من أصلح سريرته أصلح الله علانيته» .

* * *

١٤ ـ ومن عيوبها : طلب العوض على أعمالها . ومداواتها : رؤية تقصيره فى عمله وقلة إخلاصه فإن الكيِّس فى عمله من أعرض عن طلب الأعواض[٣٤] أدبًا ، وتورع عنه ظرفًا ، علمًا بأن الله جل جلاله قدر له قدرًا ، وأن الذى قدر له يأتيه دنيا وآخرة ، وأن الذى عليه لا يخرجه منه إلا الإخلاص .

---

(٣٣) هو أبو بكر محمد بن موسى الواسطى الفرغانى المتوفى بعد عام ٣٢٠ هـ. (حلية الأولياء ١٠/٣٠٣) .

(٣٤) جمع عوص .

١٥ ــ ومن عيوبها : فقدان لذة الطاعات ، وذلك من سقم القلب وخيانة النفس ، ومداواتها : أكل الحلال ، ومداومة الذكر ، وخدمة الصالحين ، والدنو منهم ، والتضرع إلى الله فى ذلك ، لِيَمُنَّ الله تعالى على قلبه بالصحة بزوال ظلمات الأسقام ، فيجد بذلك لذة الطاعات .

* * *

١٦ ــ ومن عيوبها : الكسل ، وهو ميراث الشبع ، فإن النفس إذا شبعت قويت ، وإذا قويت أخذت حظها ، فإذ أخذت حظها غلبت القلب بوصولها إلى حظها . ومداواتها : التجويع ، فإنها إذا جاعت عدمت حظها ، وإذا عدمت حظها ضعفت ، وإذا ضعفت غلب عليها القلب ، فإذا غلب عليها القلب حملها على الطاعة ، وأسقط عنها الكسل . لذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما ملأ آدمىٌّ وعاءً شرًّا من بطنه حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس » .

* * *

١٧ ــ ومن عيوبها : طلب الرياسة بالعلم ، والتكبر والافتخار به ، والمباهاة فيه على أبناء جنسه ومداواتها : رؤية منة الله تعالى

عليه ، بأن جعله الله وعاء لأحكامه ، ورؤية تقصير شكره فى نعمة الله تعالى عليه بالعلم والحكمة ، والتزام التواضع والانكسار ، والشفقة على الخلق ، والنصيحة لهم ، فإنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من طلب العلم ليباهى به العلماء ، أو ليمارى به السفهاء ، أو ليصرف وجوه الناس إليه فليتبوأ مقعده من النار » . ولذلك قال بعض السلف رضى الله عنهم : من ازداد علمًا فليزدد خشية فإن الله عز وجل يقول : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وقال رجل للشعبى[٣٥] أيها العالم ، فقال : العالم من يخشى الله .

* * *

١٨ ـ **ومن عيوبها** : كثرة الكلام ، وإنما يتولد ذلك من شيئين : إما لطلب رياسة يريد أن يرى الناس علمه وفصاحته أو قلة العلم بما يجلب عليه الكلام . ومداواتها تحققه بأنه مأخوذ بما يتكلم به ، وأنه مكتوب عليه ، ومسئول عنه ، لأن الله تعالى يقول : (وإنَّ عليكم لحافظين كرامًا كاتبين)[٣٦] وقال الله تعالى : (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد[٣٧]) . وقال رسول الله

---

(٣٥) من أئمة الدين والأدب فى العصر الأموى توفى عام ١١٠ هـ واسمه عامر بن شراحيل بن عمرو الشعبى .

(٣٦) ١٠ ، ١١ الانفطار .

صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت » وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن البلاء موكل بالمنطق » ، وقال عليه السلام : « وهل يكبُّ الناسَ فى النارِ على مناخرهم إلا حصائدُ ألسنتهم » ؛ وقال عليه السلام : « كلام ابن آدم كُلُّهُ عليه لا له إلا : أمر بمعروف أو نهىٌ عن منكر أو ذكرُ لله » ، وهذا أخذ من قول الله عز وجل : ﴿لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس[٣٨] ﴾ .

* * *

١٩ ـ ومن عيوبها : أنها إذا رضيت مدحت المرضى عنه فوق الحد ، وإذا غضبت ذمت وتجاوزت الحد . ومداواتها : رياضة النفس على الصدق والحق ، حتى لا يتعدى فى مدح من رضى عنه ، ولا فى ذمٍّ من سخط عليه ، فإن أكثر ذلك من قلة المبالاة بالأوامر والنواهى ، والله تعالى يقول : ﴿ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد ، كُلُّ أولئك كان عنه مسئولا[٣٩] ﴾ الآية ، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : « احثوا فى وجوه المدّاحين التراب » .

---

(٣٧) ١٨ سورة ق .
(٣٨) ١١٤ النساء
(٣٩) ٣٦ الإسراء .

٢٠ ـ ومن عيوبها : أنها تستخير الله تعالى فى أفعالها ، ثم تسخط إذا اختار لها . ومداواتها : أن يعلم أنه يعلم من الأشياء ظواهرها ، والله يعلم بواطنها وحقائقها ، وأنَّ حسن اختيار الله تعالى لهو خير من اختياره لنفسه ، فما اختار عبد لنفسه حالاً إلا كان مطويًّا ببلاء ، فيعلم أنه مدبَّر لا مدبِّر وأنَّ سخطه للمقضى لا يغير القضاء ، فيلزم نفسه طريق الرضا بالقضاء ، ويستريح . قال النبى صلى الله عليه وسلم : «ما من أحد إلا وله رزق يأتيه فمن رضى برزقه بورك له فيه ووَسِعَهُ ، ومن لم يرض به لم يبارك له فيه ولم يسعْه» . وقال بعض الأنبياء ـ داود عليه السلام ـ أو غيره : إلهى ، من شر عبادك ؟ فقال جل جلاله : «من استخارنى فإذا خِرْتُ له اتهمنى ولم يرض بحكمى» .

* * *

٢١ ـ ومن عيوبها : كثرة التمنى ، والتمنى هو الاعتراض على الله تعالى فى قضائه وقدره . ومداواتها : أن يعلم أنه لا يدرى ما يعقبه التمنى : أيجره إلى خير أم إلى شر ، إلى ما يرضيه أو إلى ما يسخطه ، فإذا تيقن إبهام عاقبة تمنيه أسقط عن نفسه ذلك ، ورجع إلى الرضا والتسليم فيستريح . لذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم : إذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى ، فإنه لا يدرى أحدكم

ما يُكتب له من أمنيّته ، ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم : لا يتمنين أحدُكم الموتَ لضرٍّ نزل به ، وليقل : اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرًا لى وتوفّنى ما كانت الوفاة خيرًا لى .

* * *

٢٢ ـ ومن عيوبها : محبتها الخوض فى أسباب الدنيا وحديث الناس ، ومداواتها : الاشتغال بالذكر الدائم فى كل أوقاته ، ليشغله ذلك عن ذكر الدنيا ، وأهلها ، والخوضِ فيما هم فيه ، ويعلم أن ذلك مما لا يعنيه ، فيتركه ؛ لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» .

* * *

٢٣ ـ ومن عيوبها : إظهار طاعاتها ومحبتها قصد أن يعلم الناس ذلك منه وَيَرْوهُ ، والتزين بذلك عندهم . ومداواتها أن يعلم أنه ليس إلى الخلق نفعه ولا ضره ، ويجتهد فى مطالبة نفسه بالإخلاص فى أعمالها ، ليزيل عنه هذا العيب ، لأن الله تعالى قال : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) . والنبى صلى الله عليه وسلم يقول ، حاكيًا عن ربه عز وجل ، أنه قال : «من عمل عملاً أشرك فيه غيرى فأنا منه برىء ، وهو للذى أشرك»

٢٤ ـ ومن عيوبها : الطمع . ومداواتها أن يعلم أن طمعه يدخله فى الدنيا ، وينسيه حلاوة العبادة ، ويصيره عبداً للعبيد بعد أن خلقه الله حرًّا من عبوديتهم ، فقد تعوذ النبى صلى الله عليه وسلم من الطمع فقال : «أعوذ بك من طمع يهدى إلى طبع ومن طمع فى غير مطمع» ، وهو الطمع الذى يطبع على قلبه فيرغبه فى الدنيا ويزهده فى الآخرة . وروى عن بعض السلف رضى الله عنهم أنه قال : الطمع هو الفقر الحاضر ، والغنىُّ الطامع فقير ، والفقير المتعفف غنى ، والطمع هو الذى يقطع الرقاب . يقول الله تبارك وتعالى[٤٠] : «ما وكلت مخلوقًا إلى مخلوق إلا لما يرجو منه ولو لم يرج أحدًا غيرى ما وكلت مخلوقًا إلى مخلوق أبدًا» . قال الشاعر :

أتطمع فى ليلى وتعلم أنما
تقطِّع أعناقَ الرجال المطامعُ[٤١]

وأيضًا :

أطعت مطامعى فاستعبدتنى ولو أنى قنعتُ لكنتُ حرّا

---

(٤٠) أى فى الحديث القدسى .

(٤١) ينسب إلى البعيث الشاعر الأموى المشهور ، وإلى أبى الحجاج يوسف بن محمد البلوى ، ونسب إلى مجنون ليلى العامرى ٢/٣٤ الأغانى .

٢٥ - **ومن عيوبها** : حرصها على عمارة الدنيا والتكثر منها . ومداواتها : أن يعلم أن الدنيا ليست له بدار قرار ، وأن الآخرة هى دار مقر ؛ والعاقل من يعمل لدار قراره ، لا لمراحل سفره ، فإن المراحل تنقطع ، والمقام فى المستقر يبقى ، فيعمل لما إليه مآبه . قال الله تعالى : (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد[٤٢]) ، ولأن الله تعالى يقول : (والآخرة خير وأبقى[٤٣]) وقال تعالى : (وللدارُ الآخرة خيرٌ للذين يتقون[٤٤]) .

* * *

٢٦ - **ومن عيوبها** : استحسان ما ترتكبه من الأمور ، واستقباح أفعال من تخالفه . ومداواتها : اتهام النفس ، لأنها الأمارة بالسوء ، وحسن الظن بالخلق لإبهام العواقب .

* * *

٢٧ - **ومن عيوبها** : الشفقة عليها والقيام بتعهدها . ومداواتها : الإعراض عنها ، وقلة الاشتغال بها . كذلك سمعت جَدِّى[٤٥] يقول : «من كرمت عليه نفسه هان عليه دينه» .

---

(٤٢) ٢٠ سورة الحديد .

(٤٣) ١٧ سورة الأعلى .

(٤٤) ٣٢ سورة الأنعام .

(٤٥) هو محمد بن موسى السلمى جده لأبيه ، والراجح أنه جده لأمه وهو=

٢٨ ـ ومن عيوبها : الانتقام لها ، والخصومة عنها ، والغضب لها . ومداواتها : عداوتها وبغضها ، ومحبة الانتقام للدين ، والغضبُ لارتكاب المناهى ، كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه ما انتقم لنفسه قط إلا أن تُنْتَهكَ محارمُ الله تعالى ، وكان ينتقم لله تعالى .

* * *

٢٩ ـ ومن عيوبها : اشتغالها بإصلاح الظاهر لرؤية الناس وغفلتها عن إصلاح الباطن الذى هو موضع نظر الله عز وجل ، هو أولى بالإصلاح . ومداواتها : أن يتيقن أن الخلق لا يكرمونه إلا بمقدار ما جعله الله فى قلوبهم ، ويعلم أن باطنه موضع نظر الله تعالى ، فهو أولى بالإصلاح من الظاهر ، الذى هو موضع نظر الخلق . قال الله تبارك وتعالى : (إن الله كان عليكم رقيبًا[٤٦]) ،

---

* أبو عمرو إسماعيل بن نجيد بن أحمد بن يوسف بن سالم بن خالد السلمى المتوفى عام ٣٦٦ هـ (راجع ص ٤٥٤ طبقات الصوفية للسلمى) ـ وعن محمد بن الحنفية : من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا (٥١٩/٢ محاضرات الأدباء) .

(٤٦) من آية ١ سورة النساء .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم[٤٧] » .

* * *

٣٠ ـ **ومن عيوبها** : اهتمامها برزق ، وقد ضمن الله له ذلك ، وقلة اهتمامها بعمل افترضه الله عليها ، لا يقوم أحد به عنها غيره . ومداواتها : أن يعلم أن الله الذى خلقه ضمن له كفاية رزقه ، فقال : (الله الذى خلقكم ثم رزقكم[٤٨]) ، فكما لا يُشَكُّ فى الخلق لا يُشَكُّ فى الرزق ، سمعت محمد بن عبد الله يقول يحكى عن حاتم الأصم[٤٩] قال : ما من صباح إلا ويقول لى الشيطان : ما تأكل اليوم وما تلبس وأين تسكن ؟ فأقول : آكل الموت ، وألبس الكفن ، وأسكن القبر .

* * *

٣١ ـ **ومن عيوبها** : كثرة الذنوب والمخالفات ، إلى أن يَقْسُوَ القلبُ . ومداواتها : كثرة الاستغفار ، والتوبة فى كل نفس ،

---

(٤٧) مضى هذا الحديث فى صفحة ٢١ دون لفظة «ونيَّاتكم» فى العيب التاسع للنفس .

(٤٨) ٤٠ من سورة الروم .

(٤٩) هو أبو عبد الرحمن حاتم بن علوان الأصم المتوفى عام ٢٣٧ هـ (٩١ طبقات الصوفية للسلمى) .

ومداومة الصيام ، والتهجد بالليل ، وحرمة أهل الخير ، ومجالسة الصالحين ، وحضور مجالس الذكر ، فإن رجلاً شكا إلى النبى صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه ، فقال له : ادْنُهُ من الذكر وأكْثِرْ من الاستغفار ، فإنى استغفر الله فى اليوم سبعين مرة ، وقال عليه السلام : «إن العبد إذا أذنب نُكتَ فى قلبه نكتةٌ سوداءُ فإن تاب واستغفر الله ذهبت ، وإن أذنب ثانيًا نُكت فى قلبه نكتةٌ أخرى ، إلى أن يصير القلب بحيث لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا» ، ثم قرأ النبى صلى الله عليه وسلم : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون[٥٠]) .

* * *

٣٢ - ومن عيوبها : حبها الكلام على الناس ، والخوضُ فى دقائق العلوم ، ليصيد به قلوب الأغمار[٥١] ، ويصرِفَ بحسن كلامه وجوه الناس إليه . ومداواتها : العمل بما يعظ ، وأن يعظ الناس بفعله لا بقوله ، كما روى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى ابن مريم : «إذا أردت أن تعظ الناس فعظ نفسك ، فإن اتعظتَ فعظْ الناس ، وإلا فاستحْى منى» ، وإن النبى صلى الله عليه وسلم

---

(٥٠) ١٤ سورة المطففين .

(٥١) جمع غمر وهو الجاهل القليل التجربة والخبرة .

قال : «مررت ليلةَ أُسْرِيَ بى بقوم تُقْرَضُ شفاهُهم بمقاريضَ من نارٍ ، فقلت : من هؤلاء ياأخى جبريل؟ قال : هؤلاء خطباء أمتك ، يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب[٥٢] » .

* * *

٣٣ ـ ومن عيوبها : سرورها وفرحها ، وطلبها الراحة ، وذلك من نتائج الغفلة . ومداواتها : التيقظ لما بين يديها ، وعلمه بتقصيره فيما أمر به ، وارتكابِه[٥٣] ما نُهِيَ عنه ، وأن هذه الدار له سجن ، ولا سرور له ، ولا راحة فى السجن ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر» ، فيجب أن يكون عيشه فيها عيش المسجونين ، لا عيش المستريحين .
وحكى عن داودَ الطائىِّ[٥٤] أنه قال : قطَّعَ نَياطَ قلوبِ العارفين

(٥٢) يقول الله تبارك وتعالى (٤٤ سورة البقرة) : «أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب»

(٥٣) معطوف على (تقصيره) .

(٥٤) هو أبو سليمان داود بن نصير الطائى الكوفى الزاهد المتوفى عام ١٦٢ هـ (١/٩٩ الطبقات الكبرى للشعرانى) أو عام ١٦٥ هـ (٨٥ طبقات الصوفية للسلمى)

ذكر أحد الخلودين . وقال رجل لبشر الحافى[٥٥] : ما لى أراك مهموما ؟ فقال : لأنى مطلوب .

* * *

٣٤ـ ومن عيوبها : اتباعها هواها ، وموافقة رضاها ، وارتكاب مراداتها . ومداواتها : ما أمرها الله تعالى به من قوله تعالى : (ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هى المأوى[٥٦]) ، وقوله تعالى : (إن النفس لأمّارة بالسوء[٥٧]) . وروى عن مضرَ القارى أنه قال : لَنَحْتُ الجبال بالأظافير أهونُ من مخالفة الهوى إذا تمكّنَ فى النفس .

* * *

٣٥ـ ومن عيوبها : ميلها إلى معاشرة الأقران ، وصحبة الإخوان . ومداواتها : أن يعلم أن الصاحب له مفارق ، والمعاشرة منقطعة ، كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال له جبريل عليه السلام : «عش ما شئت فإنك ميت ، وأحببْ من أحببت

(٥٥) من الزهاد الصوفية فى القرن الثانى الهجرى .

(٥٦) ٤٠ ، ٤١ سورة النازعات .

(٥٧) ٥٣ سورة يوسف .

فإنك مفارقه . واعمل ما شئت فإنك مجزىٌّ به ، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل ، وعزّه استغناؤه عن الناس » . وقال أبو القاسم الحكيم[٥٨] : « الصداقة عداوة ، إلا ما صافيت ، وجمع المال حسرة إلا ما واسيت ، والمخالطة تخليط إلا ما داريت » .

* * *

٣٦ ـ ومن عيوبها : أنسها بطاعتها ، ورؤية استحسانها . ومداواتها : أن يعلم أن أفعالها وإن أُخلصت فهى معلولة ، وأن أفعالها لا تخلو من العلل ، ويعلم أنه لا يخلص عملها إلا بسقوط رؤية استحسانها لأفعاله .

* * *

٣٧ ـ ومن عيوبها : إماتتُها النفس باتباع الشهوات ، فإن النفس إذا تمكنت من ذلك ماتت عن الطاعات والموافقات . ومداواتها : منعهُا عن مراداتها ، وحملها على المكاره ، ومخالفتها فيما تطلب ، فإن ذلك الذى يميت عنها شهواتِها ، قيل لأبى حفص : بماذا يستجلب صلاح النفس ؟ قال : « بمخالفتها فإنها موضع كل آفة » .

---

(٥٨) هو أبو القاسم إسحاق بن محمد بن إسماعيل الحكيم السمرقندى المتوفى عام ٣٤٢ هـ .

٣٨ ـ ومن عيوبها : أن تأمن من مكر الشيطان وتسويله ووساوسه ومكره . ومداواتها : تصحيح العبودية بشرائطها ، والتضرع إلى الله تعالى فى أن يمنَّ عليك بذلك لأن الله تعالى قال : (إن عبادى ليس لك عليهم سلطانٌ[٥٩]) .

* * * *

٣٩ ـ ومن عيوبها : الترسم برسم الصلاح ، من غير مطالبة القلب بالإخلاص فيما ترسم به من الصلاح ؛ ومداواتها : ترك الخشوع فى الظاهر إلا بقدر خشوع الباطن ، مما يرى فى قلبه وسره ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «المتشبعُ بما لم يُعْطَ كلابس ثَوْبَىْ زورٍ» .

* * *

٤٠ ـ ومن عيوبها : قلة الاعتبار بما يرى من إمهال الله إياه فى ذنوبه . ومداواتها : دوام الخشية ، وأن يعلم أن ذلك الإمهال ليس بإهمال ، وأن الله تعالى مُسَائِلُهُ عن ذلك ، ومجازيه به ، إلا أن يرحمه ، فإن الاعتبار لأهل الخشية ، لأن الله تعالى يقول : (إنَّ فى ذلك لعبرَةً لمن يخشى) وقال القائل :

---

(٥٩) ٤٢ سورة الحجر .

(٦٠) ٢٦ سورة النازعات .

قد غَرَّها امهالُ خالِقها لها لا تحسِبَنْ إمهالَهَا إهمالاَ

٤١ ـ ومن عيوبها : محبتها لإفشاء عيوب إخوانه وأصحابه . ومداواتها : أن يرجع فى ذلك إلى نفسه فيحب للناس ما يحب لنفسه ، كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «المسلم الذى يرضى لأخيه ما يرضى لنفسه» ، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «من ستر عورةَ أخيه المسلم سترَ الله عَورته» .

* * *

٤٢ ـ ومن عيوبها : ترك الاستزادة من نفسه فى أفعاله وأقواله ، ورضاه عنها بما هى فيه . ومداواتها : الحرصُ على طلب الزيادة فى أفعاله وأقواله ، بحسن الاقتداء بالسلف ، فإن عليًّا رضى الله عنه قال : من لم يكن فى الزيادة فهو فى النقصان .

* * *

٤٣ ـ ومن عيوبها : تحقير المسلمين ، والترفع والتكبر عليهم ، ومداواتها : الرجوع إلى التواضع ، واعتقادُ حرمة المسلمين ، فإن الله تعالى يقول لنبيه عليه السلام : (فاعفُ عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر[٦١]) . واعلم أن التكبر هو الذى أوقع إبليس

(٦١) ١٥٩ سورة آل عمران .

عليه اللعنة فيما أوقع فيه حيث قال : «أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين[٦٢]» والنبى عليه السلام نظر إلى الكعبة فقال : «ما أعظمك وأعظمَ حرمتَكِ ، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك ، إن الله تعالى حَرَّمَ منك واحدةً ، ومن المؤمن ثلاثة : دمَه ومالَه وعرضَه» .

* * *

٤٤ ـ ومن عيوبها : الكسل ، والقعود عن الأوامر. ومداواتها : أن يعلم أنه مأمور من جهة الله تعالى ، ليحمله فرح ذلك على النشاط فى أداء الأوامر. كذلك سمعت جدى[٦٣] يقول : قال بعضهم : «التهاون بالأمر من قلة المعرفة بالآمر» .

* * *

٤٥ ـ ومن عيوبها : أن يتزيى بزى الصالحين ، ويعمل عمل أهل الفساد ومداواتها : ترك زينة الظاهر إلا بعد إصلاح الباطن ، فإذا تزيى بزى قوم اجتهد أن يوافقهم فى أخلاقهم وأفعالهم كلِّها أو بعضها ، لأنه روى فى الخبر : «كفى بالمرء شرًّا أن

---

(٦٢) ١٢ سورة الأعراف.

(٦٣) هو أبو عمرو إسماعيل بن نجيد السلمى الذى مضى ذكره فى التعليق رقم (٤٥).

يرى الناس أنه يخشى الله وقلبه فاجر» ؛ وقال أبو عثمان : خشوعُ الظاهر مع فجور القلب يورثُ الإصرار .

* * *

٤٦ ـ ومن عيوبها : تضييع أوقاتها ، بالاشتغال بما لايعنيه من أمور الدنيا ، والخوض فيها مع أهلها . ومداواتها : أن يعلم أن أوقاته أعز الأشياء فليشغلها بأعز الأشياء ، وهو ذكر الله عز وجل ، والمداومة على طاعته ، ومطالبةُ الإخلاص من نفسه فإنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « دع مايريبك إلى مالا يريبك » ؛ وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه . ومن ترك ما لايعنيه اشتغل بما يعنيه » . وقال الحسين بن منصور(٦٤) : عليك بنفسك إن لم تشغلها شغلتك .

* * *

٤٧ ـ ومن عيوبها : الغضب . ومداواتها : حمل النفس على الرضا بالقضاء ، فإن الغضب جمرةٌ من الشيطان . وجاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أوصنى ، فقال :

---

(٦٤) هو أبو المغيث الحسين بن منصور بن محمد البيضاوى ، الحلاّج (٢٤٤ ـ ٣٠٧ هـ) من أعلام الصوفية فى أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجرى .

«لاتغضب ، فأعاده[٦٥] ثانيًا وثالثًا فقال : لاتغضب» ، ولأن الغضب يخرج العبد إلى حد الهلاك إذا لم يصحبه من الله تعالى زجرٌ ومنعٌ .

* * *

٤٨ ـ ومن عيوبها : الكذب . ومداواتها : حمل النفس على الصدق ، وترك الاشتغال برضا الخلق وسخطهم ، فإن الذى يحمل صاحب الكذب على الكذب طلب رضا الناس ، والتزين لهم وطلبُ الجاه عندهم ، فإنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «الصدق يهدى إلى البر ، والبر يهدى إلى الجنة ، والكذب يهدى إلى الفجور ، والفجور يهدى إلى النار» .

* * *

٤٩ ـ ومن عيوبها : البخل والشح ، وهما نتائج محبة الدنيا . ومداواتها : أن تعلم أن الدنيا قليلة وأنها فانية وأن حلالها حساب ، وحرامها عذاب . كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «حبُّ الدنيا رأس كل خطيئة» ، وأن الله تعالى أخبر عنها أنها متاع الغرور ، فلا تبخل بها ولا تشح ؛ وتجتهد فى

(٦٥) أى أعاد طلب التوصية .

بذلها ولا تمسك منها إلا مقدار ما تُدافع به وقتك ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «أنفقْ يابلال ، ولا تخش من ذى العرش إقلالاً» .

* * *

٥٠ ـ ومن عيوبها : بُعْدُ أملها . ومداواتها : تقريب الأجل ، ويعلم أن بعض السلف قال : أحب الله أن لايؤمن على حال ، فأحذره على الأحوال كلها .

* * *

٥١ ـ ومن عيوبها : الاغترار بالمدائح الباطلة . ومداواتها : أن لايغره كلام الناس ، مع مايعرفه من نفسه ، فإن حقيقة الأمر تخلص إليه دونهم وإن ثناءهم عليه بخلاف مايعرفه الله تعالى منه ، ويعرف هو من نفسه ، لاينجيه من عار تبعاته .

* * *

٥٢ ـ ومن عيوبها : الحرص . ومداواتها : أن يعلم أنه لايستجلب بحرصه زيادة على ماقدر الله له من رزقه . كما روى ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إن الله تعالى يقول للملك : أكتب رزقه وعمله وأجله وشقيًّا أو

سعيدًا ، والله تعالى يقول : (مايبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد)[٦٦]

* * *

٥٣ ـ ومن عيوبها : الحسد . ومداواتها : أن يعلم أن الحاسد عدو نعمة الله تعالى . وقال النبي عليه السلام : « لاتَحَاسَدُوا ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله إخوانًا » واعلم أن الحسد يورث قلة الشفقة على المسلمين .

* * *

٥٤ ـ ومن عيوبها : الإصرار على الذنب مع تمنِّى المغفرة ورجاء الرحمة . ومداواتها : أن يعلم أن الله تعالى أوجب الرحمة لمن لايصرُّ على ذنبه ، حيث قال : (ولم يُصِرُّوا على مافعلوا وهم يعلمون[٦٧]). وقال أبوحفص: الإصرار على الذنب من التهاون بقدرة الله تعالى ، وليعلم أن الله تعالى أوجب الرحمة للمحسنين فقال : (إن رحمة الله قريب من المحسنين)[٦٨] وأوجب المغفرة

---

(٦٦) ٢٩ سورة ق .

(٦٧) ١٣٥ سورة آل عمران .

(٦٨) ٥٦ سورة الأعراف .

للتائبين حيث قال : (واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه[٦٩]) الآية .

* * *

٥٥ ـ ومن عيوبها : أنها لاتجيب إلى الطاعات طوعًا . ومداواتها : رياضتها بالجوع والعطش والتقطع فى الأسفار ، والحمل على المكاره . سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت عمى البسطامى يقول : سمعت أبى يقول : قال رجل لأبى يزيد[٧٠] قدس الله روحه : ما أشدَّ مالقيتَ فى سبيل الله ؟ قال : لا يمكن وصفه ، فقال : ما أهونَ مالقيتَ فى سبيل الله ؟ قال : لايمكن نعته ، قال : ما أشدَّ مالقيتْ نفسُك فى سبيل الله ؟ قال : لايمكن وصفُه ، فقال : ما أهونَ مالقيتْ نفسُكَ منك فى سبيل الله : قال أما هذا فنعم : دعوتها إلى شىء من الطاعات فلم تجبنى طوعًا فمنعتها الماء سنة واحدة .

* * *

٥٦ ـ ومن عيوبها : حرصها على الجمع والمنع . ومداواتها : أن تعلم أنها ليست آمنة من انقضاء عمره ، وقرب أجله ، فيجمع

(٦٩) ٩٠ سورة هود .

(٧٠) أبو يزيد البسطامى الصوفى المشهور المتوفى عام ٢٦٤ هـ (٦٧ طبقات الصوفية للسلمى) . وقد غلب عليه حال الفناء مما أدى به إلى القول بالاتحاد ، كما أدى بالحلاج إلى القول بالحلول .

على قدر يقينه من عمره ، ويمنع بقدر حياته فمن لايأمن على نفس من أنفاسه فجمعه لذلك غرور ، ومنعه لغيره مع حصول التبعة على نفسه جهل ، مع ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «أيكم مالُ وارثه أحبُّ إليه من ماله ؟ قالوا : ليس منا أحد إلا وماله أحبُّ إليه من مال وارثه ، فقال : مالكَ ماقدمتَ ومال وارثك ما أخرتَ » .

* * *

٥٧ ـ **ومن عيوبها** : صحبتُها مع المخالفين والمعرضين عن الحق . ومداواتها : الرجوع إلى صحبة الموافقين ، والمقبلين على الحق . قال النبي صلى الله عليه وسلم . «من تشبه بقوم فهو منهم» ، وقال عليه السلام : «من كَثَّر سَواد قوم فهو منهم» ، وقال بعض السلف : صحبةُ الأشرار تورثُ سوءَ الظنِّ بالاخْيارِ .

وقال بعضهم : إن القلوب إذا بعدتْ عن الله تعالى مقتتْ القائمين بحقِّ الله تعالى .

* * *

٥٨ ـ **ومن عيوبها** : الغفلة . ومداواتها : أن يعلم أنه ليس بمغفول عنه ، فإن الله تعالى يقول : (وما الله بغافل عما

تعملون[71]) . ويعلم أنه محاسب على الخطرة والهمة ، ومن تحقق هذا راقب أوقاته ، وراعى أحواله ، فتزول بذلك عنه الغفلة .

* * *

٥٩ ـ ومن عيوبها : ترك الكسب ، والقعودُ عنه ، إظهارًا للخلق أنه قعد متوكلاً ، ثم يتشوفُ إلى الأرزاق ، ويتسخط إذا لم تأته الأرزاق . ومداواتها : أن يلزم الكسب ، لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إن أطيب مايأكل الرجل من كسبه» ، وأن يكون عليه كسب ظاهر وتوكل باطن ، ليكون مكتسبًا مع الخلق فى الظاهر ، متوكلاً على الله فى الباطن ، فهو من مراتب الرجال ، وطريق المخلصين .

* * *

٦٠ ـ ومن عيوبها : الفرار مما يوجبه عليه ظاهر العلم إلى الدعاوى والأحوال . ومداواتها : ملازمةُ العلم ، فإن الله تعالى يقول : (فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول[72]) وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم[73]) ؛ وقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : «اطلبوا العلم ولو

---

(٧١) من آية ٧٤ البقرة .
(٧٢) من آية ٥٩ من سورة النساء .
(٧٣) من آية ٥٩ من سورة النساء .

بالصين» ، وقال عليه السلام : «طلب العلم فريضةٌ على كل مسلم ومسلمة» .

* * *

٦١ ــ **ومن عيوبها** : استعظامُ ماتعطِي وتبذُل والامتنان به على من يأخذ ، ومداواتها : أن يعلم أنه يوصل إليهم أرزاقهم ، وأن الرازق والمعطى فى الحقيقة هو الله تعالى ، وأنه واسطة بين العباد وبين الله ، ولا تعاظم فى إيصال حق إلى مستحق .

* * *

٦٢ ــ **ومن عيوبها** : إظهار الفقر مع الكفاية ومداواتها : إظهار الكفاية مع القلة . سمعت جدى[٧٤] يقول : كان الناس يدخلون فى التصوف أغنياء فيفتقرون ، ويظهرون للخلق الغنى ، وفى هذا الوقت يدخلون فى التصوف فقراء فيستغنون ثم يظهرون للناس الفقر .

* * *

٦٣ ــ **ومن عيوبها** : رؤية فضله على أقرانه . ومداواتها : العلم بنفسه ، فلا أحد أعلم بها منه ، وحسنُ الظن بأقرانه ، ليحمله

---

(٧٤) مضى ذكره جده مرتين ، فى التعليق (٤٥) ، والتعليق رقم (٦٣) .

ذلك على احتقار نفسه ، ورؤية فضل إخوانه وأقرانه ، ولا يصح له هذا إلا بعد أن ينظر إلى الخلق بعين الزيادة ، وينظر إلى نفسه بعين النقصان . كذلك سمعت جدى[75] يقول وسمعت أبا عبد الله السجزى يقول : لك فضلٌ مالم تر فضلَكَ فإذا رأيت فضلك فلا فضل لك .

* * *

٦٤ ـ ومن عيوبها : حمل النفس على مايستجلب لها الفرح . ومداواتها : أن يعلم أن الله يبغض الفرحين . قال الله تعالى : (إن الله لايحب الفرحين) ، وفى صفة النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان دائم الأحزان متواصل الفكرة ، وقال عليه السلام : «إن الله يحب كل قلب حزين» ، وقال مالك بنُ دينار[77] : إن القلب إذا لم يكن فيه حزن خَرِب ، كما تخرب الدار إذا لم يسكُنْ فيها أحد .

---

(٧٥) هذا موضع رابع ذكر فيه جده (راجع التعليق ٤٥ و٦٣ و ٧٤) . وهذا التعليق

(٧٦) ٧٦ من سورة القصص .

(٧٧) من زهاد البصرة المعروفين ، توفى عام ١٣١ هـ ، ويقول فيه ابن خلكان (١/٥٥٧ وفيات الأعيان) : كان عالمًا زاهدًا ، كثير الورع ، قنوعًا ، لا يأكل إلا من كسبه ، وكان يكتب المصاحف بالأجرة .

٦٥ ـ **ومن عيوبها** : أن تكون فى محل الشكر وهى تظن أنها فى مقام الصبر. ومداواتها : رؤية نعم الله تعالى عليه فى جميع الأحوال . سمعت سعيد بن عبد الله[٧٨] يقول : سمعت عمى يقول : سمعت أبا عثمان يقول : الخلق كلهم مع الله فى مقام الشكر ، وهم يظنون أنهم معه فى مقام الصبر.

* * *

٦٦ ـ **ومن عيوبها** : تناول الرخص بالتأويلات . ومداواتها : اجتناب الشبهات ، فإنها تؤدى إلى نص الحرام . ألا ترى أن النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « الحلال بين والحرام بين ، وبينهما مشتبهات ، فمن اجتنبهن فهو أسلم لدينه وعرضه ، ومن واقعهن وقع فى الحرام ، كالراتع إلى جانب الحمى ، يوشك أن يخالط الحمى ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه » .. الحديث .

* * *

٦٧ ـ **ومن عيوبها** : الإغضاء على نفسه فى عثرة تقع له أو زلة . ومداواتها : تداركُ تلكَ العثرة ، بالاستقالة والتوبة سريعًا ،

---

(٧٨) هو سعيد بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل راجع ١٧١ طبقات الصوفية للسلمى .

لئلا تتعود النفس تلك العثرة وأمثالها . كذلك سمعت عبد الله بن محمد الرازى يقول سمعت أبا عثمان يقول : بلاء عامة المريدين من إغضائهم عن عثرة تقع لهم أو هفوة ؛ وتركَ مداواتها فى الوقت بدوائها حتى تعتاد النفس ذلك فيسقط من درجة الإرادة .

* * *

٦٨ ـ ومن عيوبها : الاغترار بالكرامات . ومداواتها : أن يعلم أن أكثرها اغترارات . واستدراج ، والله تعالى يقول : (سنستدرجهم من حيث لايعلمون[٧٩]) . وقال بعض السلف : ألطف مايخادع به الأولياءُ الكراماتُ والمعوناتُ .

* * *

٦٩ ـ ومن عيوبها : محبة مجالسة الأغنياء ، وميله إليهم ، وإقباله عليهم ، وكرامته لهم . ومداواتها : مجالسة الفقراء ، والعلم بأنه لايصل إليه مما فى أيديهم إلا مقدار ماقدره الله له ، فيقطع الطمع عنهم ، فيسقط ذلك عنه محبتهم ، والميلُ إليهم ، ويعلم أن الله تعالى عاتب نبيهُ عليه السلام فى مجالسة الأغنياء والإعراض عن الفقراء ، قال الله تعالى : (أما من استغنى فأنت له تَصَدَّى

---

(٧٩) ١٨٢ من سورة الأعراف .

وما عليك ألاَّ يَزَّكَّى ، وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تَلَهَّى)[٨٠] فقال صلى الله عليه وسلم بعد ذلك : «المحيا محياكم ، والممات مماتكم»[٨١] وقال عليه السلام للفقراء : «أمرنى ربى سبحانه وتعالى أن أصبر نفسى معكم» . وقال عليه الصلاة السلام : «اللهم احيِنى مسكينًا ، وأمتْنى مسكينًا ، واحشرنى فى زمرة المساكين» . وأن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى أو لغيره : «عليك بحبُ المساكين والدنو منهم» .

(٨٠) ٥ ــ ١٠ من سورة عبس .

(٨١) ويروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك فى فتح مكة للأنصار لما تهامسوا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم سيقيم فى مكة بين أهله فيها .

[خاتمة الكتاب]

وقد بينت فى هذه الفصول بعض معايب النفس ، ليستدل العاقل بذلك على ماوراءها ، ويخرج منها من يؤيده الله منهم بتوفيق وتسديد ، مع إقرار بأنه لايمكن استيفاء معايبها ، وكيف يمكن ذلك ؟ والنفس معيبة بجميع أوصافها ، لا تخلو من عيب ، وكيف يمكن إحصاء عيب ماكلّها عيبٌ وقد وصفها الله تعالى بأنها « الأمارة بالسوء » إلا أنه ربما يصلح العبد من عيوبها شيئًا ببعض هذه المداواة ، ويسقط عنها بذلك عيبًا من عيوبها والله يوفقنا لمتابعة الرشد ، ويزيل عنا موارد الغفلة والشهوات ، ويجعلنا فى كنفه وحياطته ، وعصمته ورعايته ، فإنه القادر عليه والوهاب له ، برحمته وفضله ، وصلى الله على محمد النبى وآله الطاهرين .

(تم الكتاب بحمد الله وعونه)

رقم الإيداع ٨١/٣٥٩١ الترقيم الدولى ISBN ٩٧٧ - ٧٣٣٦ - ٣٥ - ٧